

الشهيد علاء توفيق طالب

الكاتب :

التاريخ : 27 نوفمبر 2012 م

المشاهدات : 5711



علاه (أبو توفيق) بلغ ذاك العلو الروحي الذي نشده جمعينا، علا بروحه الطاهرة عن أرذال البشر عن تفاهات الدنيا أخلص نيته للباري فكان له الوعد الرباني بالانتظار.

صغر في العمر كبير في الأفعال 23 ربيعاً لم تمنعه من أن يثبت للعالم بأكمله بأن من أحب الله من قلبه وبادر لكل عمل يحبه الله فإن الله يصطفيه من بين المئات ممن هم أكبر منه سنا ليكرمه بالشهادة وليس أى شهادة شهادة في سبيل الله بإذن تعالي.

أحب الأيتام فكان عضوا في جمعية (صديق اليتيم) أحبهم أكثر مما أحبوه وكان ينتظر بكل شوق الوقت الذي سيقضيه معهم.

شاب وسيم باسم مفعم بالنشاط والحيوية، اجتماعي بطبعه واسع العلاقات، كثير الحركة ماهر بتكوين الصداقات، جريء مؤدب متعدد النشاطات.

نشأ علاء الدين في أسرة ملتزمة في مدينة دوما من والدين مثقفين وتربي في بيئة إسلامية غرس فيها معانى الدين والبذل والكرم، وحملته بالأدب والطيبة والشجاعة.

حصل على شهادة الثانوية العامة وبادر التسجيل في قسم الهندسة.

ولمّا اندلعت ثورة الكرامة في سوريا لم يكن علاء الدين ليقف متفرّجاً على معاناة شعبه وألام إخوانه بل بادر بالمشاركة في المظاهرات السلمية منذ البداية وكانت له مشاركات يومية في المظاهرات الطيارة في ظروفٍ أمنيةٍ غایة في الصعوبة خاصةً خلال شهر حزيران وتموز من عام 2011 حيث كان القناع القماشي وعلم الثورة معه حيثما كان، ليكون جاهزاً للمشاركة.

لم يكتف بالمظاهرات في نشاطه الثوري بل مارس نشاطاً إعلامياً في تغطية فعاليات الثورة السورية لاسيما خلال الأشهر الأخيرة من عام 2011، وعمل بال المجال الإغاثي فكان يذهب إلى دمشق وريفها ثلاث مرات كل يوم لتوزيع المعونات الغذائية مما زاد في علاقاته وأيضاً لم يتخلّ عن العمل في المجال الطبي فالتحق بدورة إسعاف طبي ليكون بين المسعفين مما جعل له أصدقاء كثُر في الهلال الأحمر...

و عندما بدأت الثورة السورية بالانتقال إلى خيار السلاح لإسقاط النظام كان علاء الدين من أوائل المشاركين في تأسيس العمل العسكري الثوري في منطقة ريف دمشق حيث انتسب إلى إحدى السرايا في الغوطة الشرقية في 15/1/2012 وقال يومها: (اليوم بدأت الثورة الحقيقية)

وانضمّامه للعمل العسكري لم يكن ليمنعه من التوقف عن عمله الإغاثي بل كان يجتهد في العملين بكل جد لدرجة أن أوقاته امتلأت عن آخرها وكان لا يمكن من رؤية أهله إلا نادراً لكثره انشغاله.

ومرة من المرات تعرّضت السرية التي يعمل معها إلى عدة مداهماتٍ وكماينَ قدر الله سبحانه خلالها نجاة علاء الدين في حين استشهد واعتقل غالبية عناصر السرية.

أصبح علاء الدين مطلوباً للنظام الأسدي في أواخر شهر شباط بعدما عثر على اسمه في هاتف أحد إخوانه الشهداء خلال إحدى كماينِ النظام للمجاهدين، بعدها لم تكمل قوائم المطلوبين المسربة من عدة فروع أمنية من اسم البطل. بعد عدة أشهر صادر أحد حواجز النظام سيارة علاء واعتقل من كان فيها من أصدقائه، لكنهم لم يظفروا به، إلا أن ذلك لم يؤثّر في عزيمة علاء ولا في نشاطه حيث استمرّ في جهاده وتنقله الكثيف بين المدن والبلدات متحاشياً للحواجز الأسدية ومغامراً رغم المخاطر.

تقدّم له بعض الأخوة بعروض السفر تجنبًا للاعتقال ولكنه رفض أن يترك الثورة والجهاد وكان كثيراً ما يذكر الشهادة في سبيل الله ويتشوّق لها خاصةً وهو يرى العشرات من إخوانه ورفقاء جهاده يرتفون الواحد تلو الواحد حتى كتب على صفحته الإلكترونية قبل أيام من استشهاده (هذا الإنسان ومثلهُ أنسٌ بشهادتهم يجعلونني أتشوّق لقرب استشهادي ... لألقاهم)

و قبل استشهاده بساعات حدث أخته قائلًا لها: (ستسمعين خبراً يفرحك) وفي عصر يوم الخميس الموافق 10 / 4 / 2012 جاء الخبر المفرح وتزبنت حور الجنان لاستقباله حيث كان البطل على موعد مع الشهادة وفي إحدى مزارع الغوطة الغربية استهدفته طائرة مigung أثناء تحضيره لعملية كان ينوي قيادتها بنفسه فتحول جسدهُ علاء وإخوانه إلى أشلاء مبعثرة اختلطت بتراب أرضِ الرباطِ فلم يتمكن أحدٌ من التمييز بينهما.

لم يكن علاء الدين صورّةً بعد استشهاده بخلاف غالبية شهداء الثورة ولم يسمع عن شهيد تبخر جثمانه بالكامل سوى علاء الدين وأقرانه.

كم تشبه قصته قصة الصحابي الشهيد عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح - رضي الله عنه فقد حوصر أبو توفيق لمرات وطورد لشهور وكان لا يكتفي بمهمة واحدة وهذا مما زاد من تعرضه لل اعتقال .. وفي كثير من الأحيان حاول أصدقائه إقناعه في أن لا يواجه الأمان إن تعرض للكمين ما حرضاً على سلامته فالاعتقال أخف

من القتل والتصفية فكان يجبيهم دائمًا:

"**وَاللَّهُ لَنْ أَسْلِمُهُمْ نَفْسِي وَأَذْهَبْ رَخِيْصَا فَالْمَوْتُ أَهُونُ عَلَيْ مَنْ أَنْ يَلْمِسُوا جَسْدِي أَوْ أَدْخُلْ سَجْوَنَهُمْ**"

لقد قالها الصحابي عاصم بن ثابت - رضي الله عنه - سابقًا بعد أن رفض أن ينزل في جوار مشرك يوم حوصل في حادثة

ماء الرجيع ثم قال: "الله إني حميت دينك أول النهار فاحم لي لحمي آخره"

فلما استشهد أرسل الله الدبر (النحل) لمنع المشركين من الوصول إلى جثمانه ثم أرسل سيلًا حمل الشهيد ودفنه ..

فاستجاب الله دعائه ولم يعلم أين دفن جثمانه !!

والاليوم يتمزق جثمان البطل أبو توفيق ويبحث عنه إخوانه دون جدو .. فلقد حقق الله تعالى له ما تمنى فلم يمس جسده

كافر ولم ينزل منه سجان ، ولم يُرى له جثمان ولم يكن هناك تشبيع ولا حتى بيت عزاء لأن أهل دوما يومها كانوا يهيمون في

الأرض مطاردين

رحمك الله يا علاء الدين كم تركت فينا من قروح وأوجاع

وكان آخر ما نشره على حسابه في الفيس بوك :

"**هَاي بِنِيَاٰتِنَا.....وَهِيَ الْحُرْيَةِ يَلِي بِدَنَا يَاٰهَا**"

وقد كتب عنه أحد أصدقائه :

كنت أدخل المسجد لاهثاً أبحث عن إخواني الذي أعمل معهم، وكنت أشاهد ذلك الشاب الحاذق صاحب العينين الجميلتين والثغر الباسم ممسكاً دفتره منهمكاً بعمله يتحلق حوله الشباب الصغار بالسن وأقرانه في العمر.

كان دائم الابتسام مما دفعني فضولي للتعرف عليه فسألت من يكون ذلك الشاب فجاوبوني إنه أبو توفيق طالب، فنويت مقاطعة جلسته مع أصدقائه لأتعرف به عرفته بنفسه، لكن ما حدث يومها أن المسجد الكبير تعرض للقصف بعده قذائف هاون وهرعنا مسرعين إلى أركان المسجد الوثيقة خوفاً من الشظايا، فمازنني - رحمه الله - وقال لي (انسحب تكتيكي يا شباب) فضحك كل من في المسجد.

رحمه الله قلب الرعب نكتة وعندها خرجنا من المسجد متفرقين بعد هدوء القصف وحينها صممتم على التعاون بيدي وبينه

- رحمه الله - لكن كان قدر الله أسرع استشهاده - رحمه الله - تاركاً إرثاً ثقيلاً علينا ولكننا نعاهدك يا أخي إما أن نكمل ما بدأنا أو نذوق ما ذقت من شهادة صافية خالصة لوجه الله الكريم

وقد قام صديق له بعملية انتقام فيها لدم الشهيد

استشهد علاء مع رفقائه رفقاء الدرب حسام اينال (أبو قيس) ، و محمد حمو (أبو يعقوب) ودفن معهم في قبر واحد ليكونوا

أصدقاء الحياة والشهادة

رحمهم الله جميعاً

قصص شهداء الثورة السورية

المصادر: